

الكشاف

" يسارعون في الكفر " يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين . وقيل : هم قوم ارتدوا عن الإسلام . فإن قلت : فما معنى قوله : " ولا يحزنك " ؟ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد ؟ قلت : معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك . ألا ترى إلى قوله " إنهم لن يضروا شيئا " يعني أنهم لا يضرون ويعينوا عليك . ألا ترى إلى قوله " إنهم لن يضروا شيئا " يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم . ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله : " يريد أن لا يجعل لهم حطا في الآخرة " أي نصيبا من الثواب " ولهم " بدل الثواب " عذاب عظيم " وذلك أبلغ ما ضرب به الإنسان نفسه . فإن قلت : هلا قيل : لا يجعل أن لهم حطا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة ؟ قلت : فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلع خلصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد ألا يرحمهم " إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان " إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم . وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين . أو ارتد عن الإسلام أو على العكس . و " شيئا " نصب على المصدر ؛ لأن المعنى : شيئا من الضرر وبعض الضرر " الذين كفروا " فيمن قرأ بالتاء نصب و " إنما نملي لهم خير لأنفسهم " بدل منه : أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم و أن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله : " أم تحسبن أن أكثرهم يسمعون " الفرقان : 44 ، وما مصدرية بمعنى : ولا تحسبن أن إملأنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة . ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف . فإن قلت : كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاختصار بفعل الحسبان على مفعول واحد ؟ قلت : صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول : جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك . ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على : ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم . أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم . وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه . والإملاء لهم : تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء . وقيل : هو إمهالهم وإطالة عمرهم . والمعنى : ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم " إنما نملي لهم " ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة

قبلها كأنه قيل : ما بالهم لا يسحبون الإماء خيرا لهم فليل : إنما نملي لهم ليزدادوا
إثما . فإن قلت : كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا ؟ تعالى في إملائه لهم ؟ قلت : هو
علة للإملاء وما كل علة بغرض . ألا تراك تقول : قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من
البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك . وإنما هي علل وأسباب فكذاك ازدياد الإثم جعل
علة للإمهال وسببا فيه . فإن قلت : كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة
للقعود عن الحرب ؟ قلت : لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكأن
الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز . وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأول وفتح الثانية
 . ولا يحسن بالياء على معنى : ولا يحسن الذين كفروا أن إملأنا لازدياد الإثم كما يفعلون
وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان . وقوله : " إنما نملي لهم خير لأنفسهم " اعتراض
بين الفعل ومعموله . ومعناه : أن إملأنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله
عليهم بتفسيح المدة وترك المعالجة بالعقوبة . فإن قلت : فما معنى قوله : " ولهم عذاب
مهيّن " على هذه القراءة ؟ قلت : معناه : ولا تحسبوا أن إملأنا لزيادة الإثم وللتعذيب
والواو للحال كأنه قيل : ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين .
" ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا
فلكم أجر عظيم "